

سورة يوسف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي

إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا

تَعْلَمُونَ

يوسف (86)

معاني الكلمات :

{ قَالَ } يعقوب

{ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي } أي: ما أبث من الكلام أي عظيم حزين
إذ البث الذي لا يصبر عليه حتى يبث إلى الغير.

{ وَحُزْنِي } الذي في قلبي

{ إِلَى اللَّهِ } وحده، لا إليكم ولا إلى غيركم من الخلق، فقولوا
ما شئتم

{ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } من أنه سيردهم علي ويقر
عيني بالاجتماع بهم.

المعنى الإجمالي

قال يعقوب محبباً لهم: لا أظهر همتي وحزني إلا لله وحده،
فهو كاشف الضر والبلاء، وأعلم من رحمة الله وفرجه ما لا
تعلمونه والمرء إذا أصيب بكمٍّ أو غم يحتاج إلى من يواسيه
ويسليه ويخفف عنه. بعض الناس هدام الله. يضيفون إلى

البلاء بلاء. يأخذون في التعنيف. يكفيه ما هو فيه. «لا
تهزن غريباً حال غربته»، يعني تكفيه غربته. كذلك إذا
ابتلي المرء، وأخذ الناس من حوله يقنطونه ويزيدون همه،
عليه ألا يستجيب لهم، وأن يستعين بالله ويتوكل عليه.
ماذا قال يعقوب عليه السلام لأبنائه؟ **"قَالَ إِنَّمَا
أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ"**
(يوسف: 86). كأنه يقول لهم: إليكم عني، دعوني، أنتم
لا تعيشون مأساتي ولا تعلمون ما أحسن به من أمل
وتفائل وحسن ظن بالله - جل وعلا. تأملوا هذه
المشاهد العجيبة مشهد هذا الأب الحزون المكسوم، ومع
ذلك لا يفرط في التفاؤل، وهؤلاء الذين هم سبب
المشكلة، ومع ذلك يقنطونه يزيدونه مشكلة إلى
مشكلته. **"قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ"** فالمسلم
يشكو بثه وحزنه إلى الله لا إلى الخلق.

فإن كان لابد أن يبث بعض همومه لمن حوله فليبثها لمن
يساعده ويخفف عنه، مع أنه إذا استطاع ألا يفعل ذلك
إلا للواحد الأحد - جل وعلا - فليفعل، فهو الذي
يسلي المؤمن وهو الذي يرفع البأساء. **"أَتَنْ لِيُجِيبُ
الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ
الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلٌ مَا تَذَكَّرُونَ"** (النمل: 62) بث
همومك إلى الله - جل وعلا، ابتعد عن الناس كما فعل
يعقوب، وابك بين يدي ربك بكاءً صادقاً، فستجد
عجباً، ستجد فرجاً، ستجد شفاءً من كل علة وبلاء
وداء. صل ركعتين لله - جل وعلا - واسأله الفرج
والتيسير وكشف البلاء، والله - تعالى - يقول في الحديث
القدسي: "أنا عند ظن عبدي في فليظن بي ما شاء".
والعبد أضعف من أن يتجلد على ربه ولا يشكو حاله
إليه، والرب عز وجل لا يريد من العبد أن يتجلد أمامه،

وأن يكتن ما في نفسه عنده، بل يريد من عبده أن يستكن له،
وأن يتضرع إليه، إن العبد يتجلد أمام العبد، ويكنم شكواه عند
الناس، هذا حال المؤمن لكنه لا يكتن شكواه إلى الله، فإن الله
يحب من يشكو إليه، ويظهر المسكنة والحاجة والشدة عنده،
قليل لبعضهم: كيف تشتكي إليه ما لا يخفى عليه؟ فقال: ربي
يرضى ذل العبد إليه.

ويعقوب عليه السلام يفقد أصلح أولاده، وأمثلة أولاده،
والذي كان يُعده من بعده، ويخصه لما يجد من شدة
الإقبال منه والاعتناء والرغبة، يوسف ثم من بعده أخاه
الأصغر أيضاً يفقده، اشتد الحزن، عظم البلاء، طالت
المدة، ولكنه لم يئأس ولا يزال يدعو ويدعو فيلومه بعض
أهله على إضراره بنفسه فيقول: **"إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى
اللَّهِ"** سورة يوسف: 86، لا أشتكي إليكم وليس عندكم، **"إِنَّمَا
أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ"** ذهب الولد الأول ثم ذهب
الولد الثاني، واختفيا، واشتد الأمر وعظم ومن الذي تمألاً
عليه؟ أقرب الناس إليه أولاده الآخرون، أليس هذا
موجعاً؟ ثم يذهب البصر ويفقد الحبيبين، **"قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو
بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ"** سورة
يوسف: 86، أشكو همي وما أنا فيه من الحزن الذي مأل
قلبي إلى الله الذي أرجو منه كل خير، قال العلماء وأهل
اللغة والبث: أشد الحزن وأعظمه وأصعبه؛ لأن صاحبه لا
يصبر عليه حتى يبثه ويفشيه، ولكنه بثه عند ربه، وما زال
يدعو ويدعو بعد ذهاب البصر حتى رد الله عليه يوسف
وأخاه والمملك والإكرام **"ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ
آمِنِينَ وَرَفَعْنَا بَنِيهِ عَلَى الْعَرْشِ"** سورة يوسف: 99-100،
كان عمر رضي الله عنه يقرأ هذه الآية **"إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي
وحزني إلى الله في الفجر فيبكي حتى يسمع نشيجه من
آخر الصفوف"**.

(قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى
اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (70)



فوايضا من السورة بولس الرسول 86

تهدى ولا تباع

ولا تسوننا من صاها

اعدها عزمي إبراهيم عزيز

11- فان كنت تشكو الذنوب فاشكو اليه فانه لا يغفرها الا هو
وان كنت تشكو الوحده فاشكو له فلا يملك غيره ان يذهب عنك
ما تشعر
وان كنت تشكو ظلم من حولك فهو القادر عليهم وعليك
وهو القادر على هدايتهم وتأليف القلوب
وان كنت تشكو حلما بعيدا فمن ذا الذي يقدر على تحقيقه
سواه
وان كنت تشكو حزنا قديماً فمن يستطيع ان ينسيك الا هو
وان كنت تشكو مرضاً فهو وحده الذي بيده الشفاء
وان كنت تشكو شيطانا أو نفساً آماره بالسوء فهو وحده
قادر ان يصرف عنك كل سوء
وان كنت تشكو ابتلاءات متتاليات فمن بيده كشف الضر
سواه!
وان كنت تشكو ضيق الحاجه فهو الرزاق الكريم يرزق من
يشاء بغير حساب
12- أشكو إليك.. يا من ترى حالى وتعلم شكوتى
أشكو إليك .. يا من بيده زمام أمرى ومن بيده أن يفرج كربى
أشكو إليك .. إلهى ضعفى وحزن قلبى وضيق صدرى وانعدام
حيلى
أشكو إليك .. وأنت أعلم منى بحالى وحال كبرى وغربى
أشكو إليك .. فمن لى ربي غيرك أنيسى فى وحشتى ووحدتى
أشكو إليك .. وأنت حسى وأنت كل غايى
أشكو إليك .. فهل ترد عليّ ربي شكوتى
حاشاك أن تحبط رجائى فأنت تعلم حالى ..
اللهم اجعلنا ممن يلجئون ظهورهم إليك، ويفوضون أمورهم
إليك، فإنه لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك،
والله اعلم
وصلّى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين.

الفوائد :

- 1- شدة الحزن تعرض صاحبها للحرض أو الموت.
- 2- تحرم الشكوى لغير الله عز وجل.
- 3- حرمة اليأس من الفرج عند الشدة والرحمة عند العذاب.
- 4- جواز الشكوى إذا كان المراد بها الكشف عن الحال للإصلاح أو العلاج كأن يقول المحتاج إني جائع أو عار مثلاً وكأن يقول المريض للطبيب أشكو ألماً في بطني أو رأسي مثلاً.
- 5- البث لهم العارض الذي لا يمكنني الصبر عليه، وينتشر في كل نفسي، ويسد علي أسباب السرور.
- 6- (الحزن) ما يكون في النفس من الآلام الدفينة.
- 7- ذكر المفسرون أن الإنسان إذا قدر على كتم ما نزل به من المصائب كان ذلك حزناً وهمماً، وإن لم يقدر على كتمه وذكره لغيره كان ذلك بئاً، فالبت على هذا أعظم الحزن وأصعبه.
- 8- كان الأنبياء والرسل وهم خير الخلق إذا نزل بهم البلاء واشتد بهم الكرب، وعظمت المصيبة عندهم، لجأوا إلى الله وتضرعوا إليه وأظهروا افتقارهم إليه بالشكوى.
- 9- تبرأ من حولك، وتبرأ من قوتك، وقل كما علمنا النبي عليه الصلاة والسلام، وهذا أعلى من كل ما يقال من عبارات الناس، (اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت) ، وتيقن بأن الله أرحم بك من نفسك، وأرحم بك من أمك التي أنجبتك، وأن الشكوى إلى الناس لا تزيد المصائب إلا شدة وجزعاً، كالعطشان الذي يشرب ماء البحر فأنى يبرى، قال عمر رضي الله عنه: "ما في الشكوى، أي -إلى من حولك- إلا أن تحزن صديقك وتشتت عدوك".
- 10- قال شيخ الإسلام: "وكل من علق قلبه بالمخلوقين أن ينصروه أو يرزقوه، خضع قلبه لهم، وصار فيه من العبودية لهم بقدر ذلك.